مجلةآفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 14 العدد: 02 السنة 2022 ص 549 - 565

تاريخ الإرسال: 2021/09/12 تاريخ القبول: 2022/02/08
تاريخ النشر: 2022/04/24

النقد والانتقاد في مسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني -اللفظ والمعنى- أنموذجا

Critic and criticism in questions of criticism of Word and meaning model Ibnsharaf al-qayrawani

بن مستورة خيرة ؛ الأستاذ الدكتور عزوز ميلود
مخبر الخطاب الحجاجي: أصوله ومرجعياته في الجزائر
جامعة تيارت (الجزائر) Kheira.Benmestoura@univ-tiaret.dz
جامعة تيارت (الجزائر) ،miloudunive@gmail.com

الملخص:

استحوذت قضية اللّفظ والمعنى في الدراسات النقدية والفكرية على اهتمام كبير من قبل النقاد والدّارسين، فتنوعت الآراء النقدية التي تناولت هذه القضيّة بالدّرس والتحليل، فمنهم من انحاز للفظ ومنهم من انحاز للمعنى، ومنهم من ركزّ على العلاقة الجدلية بينهما.

وكان الأمر سيان لدى النقاد المغاربة القدامى الذين أولوا هذه المسألة الكثير من الاهتمام، فبحثوا فيها وقدموا فيها الآراء الكثيرة، ومنهم ابن شرف (ت 460هـ) الذي تناول في مدونته "مسائل الانتقاد" قضية اللّفظ والمعنى، وتأتي محاولتنا هذه لتنهض على استنطاق المدونة النقدية لدى ابن شرف ورصد أهم القضايا النقدية التي سلك فيها مسلك المتقدمين. فهل جاء بالجديد؟ أم كانت آراؤه امتدادا لما جاء به النقاد المشارقة؟.

الكلمات المفتاحية: ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، اللفظ، المعنى، النقد المغاربي القديم.

ABSTRACT:

A long time ago, the issue of word and meaning attracted the attention of many scholars and experts in the scope of critical and intellectual studies. Scholarly interpretations of the topic "word and meaning" are addressed differently in both studies and analyses. Some experts focused on "word" , others on "meaning", however, some scholars have emphasized the controversial relationship between them. Ancient Maghreb critics also devoted much attention to the study of 'word and meaning' such as Ibn Sharaf (460), in his book (Questions of Criticism), in which he dealt with the same question. This paper attempts to reveal Ibn Sharaf's point of view and his scientific position on this subject, in addition to presenting the most important critical questions already addressed by previous scholars. The study also seeks to find out whether he, Ibn Sharaf, has come up with something new or it is nothing more than a continuum of what former Eastern critics have dealt with.

Keywords: Ibn Charaf El Qayrawani, Questions of Criticism, word, Meaning, old Maghrebin critics.

---

[1]بن مستورة خيرة، Kheira.Benmestoura@univ-tiaret.dz

1- مقدمة:

من القضايا النقدية الكبرى التي شغلت بال النقاد والدارسين منذ أمد بعيد، قضية اللّفظ والمعنى، كون العمل الأدبي خلق لغويّ يسخّر فيه الأديب كلّ الطاقات اللّغوية من كلمات وما يريد التعبير عنه ليخرجها في صورة أجمل تجذب القارئ وتجعله يتمعن في الألفاظ لمعرفة ما تخفيه من معاني، ونظرا لأهمية اللّغة في الوصول إلى كنه المعاني التي يخفيها الأديب وبقدر تحكمه في هذه اللّغة وحسن استغلالها يكون نجاحه؛ لأنه

بواسطتها يتميّز النّص عن غيره لذا كانت: «للمتحدّث طبيعة، وللشاعر عصّية أدبيّة المراس لم تستأنس فهي على حالتها الوحشية».[1]

ولما كانت الوحدة اللّغوية مكونة من لفظ ومعنى أصبحت قضية اللّفظ والمعنى من القضايا النقدية البارزة والمهمة التي خاض فيها الكثير من النقاد، فاحتدم الصراع بينهم لتحديد أيّهما يخلق أدبية النّص، ولتحديد دور كلّ منهما في إعطاء القيمة الفنية للنّص الأدبي، وكذا ارتباطهما بالكثير من العلوم والمجالات الفكرية الأخرى، فقد «هيمنت على تفكير اللّغويين والنحاة، وشغلت بال الفقهاء والمتكلمين، واستأثرت باهتمام البلاغيين والمشتغلين بالنقد، نقد الشعر والنثر، دع عنك المفسرين والشراح الذين تشكل العلاقة بين اللفظ والمعنى اهتمامهم العليّ».[2]

وبهذا فهي قضيّة احتلت موقع الصدارة لدى العرب القدامى باختلاف تخصصاتهم، وتنوّع مشاربهم، بحثوا فيها لأنها: «تشكل أبرز المعارف والعلوم عند العرب بدءا بأوّل تجربة لهم في فهم القرآن أثناء التنزيل وبهذه ووصولا إلى الميلاد المنهجي لعدة علوم عربية أصيلة».[3]

2- القضايا النقدية الحاضرة في كتاب "مسائل الانتقاد":

جدير بنا معرفة الجهود النقدية التي بذلها النقاد المغاربة القدامى وأهمية هذا الحضور في الساحة النقدية العربية القديمة، هذه الجهود التي لا تقل أهمية ونضجا عمّا قدّمه النقاد المشارقة في هذا المجال، ولا أدّل على ذلك من كتاب "مسائل الانتقاد" لابن شرف القيرواني، هذا الكتاب الذي طرحت حوله الكثير من الأسئلة، فهناك تحقيقات ودراسات وردت بأسماء عديدة وهي: "مسائل الانتقاد" و"رسائل الانتقاد" و"أعلام الكلام" و"رسائل نقدية"، وأنّ هناك من خلط بين اسمين مثلما نجد في طبعة عبد العزيز الخانجي إذ يقول: «أنجزتُ مسائل الانتقاد، بلطف الفهم والانتقاد،

وهو أعلام الكلام لابن شرف القيرواني على لسان أبي الرّيان الصلت بن السكت...»[4] ويبقى الاسم الأكثر تداولا من بين هذه العناوين هو "مسائل الانتقاد" وهو عنوان يشير إلى الحوار الذي دار بين ابن شرف وأبي الريان بن السكت حول قضايا نقدية عديدة، جلبت اهتمام الكثير من النقاد في عصره.

إنّ كتاب ابن شرف "مسائل الانتقاد" رسالة نقدية في شكل مقامات استوحاها من مقامات بديع الزمان الهمذاني، بدأها بمقدمة بين فيها منهجه في الكتاب، مبينا تأثره بكتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، وكتاب "النمر والثعلب" لسهل بن هارون، ثم أظهر أثر كتابات الهمذاني فيه، وقد أورد في مدونته قائلا: «بديع الزمان الحافظ الهمذاني، وهو الأستاذ أبو الفضل أحمد بن الحسين، مقامات كان ينشئها بديهيا في أواخر مجالسه، وينسبها إلى راوية رواها له، يسمى عيسى بن هشام، وزعم أنّه حدثه بها عن بليغ يسميه أبا الفتح الأسكندري، وعددها فيها نزعم روايتها عشرون مقامة، إلاّ أنّها لم تصل هذه العدّة إلينا».[5]

فقد تعرض ابن شرف في مدونته إلى نقد عدد كبير من الشعراء وتحدث أيضا عن النقد وأصوله والناقد ومبادئه، إضافة إلى ذكر عيوب الشعر، وقد أورد إحسان عباس قائلا: «فجاءت رسالته في قسمين: أولهما المقامة نفسها الذي يتحدث فيها عن الشعراء، والثاني بيان سقطات عدد من الشعراء وبيان العيوب في الشعر، وعني في القسم الأول بإبراز أهم ما يتميز به كل شاعر في الشعر وغيره...والقسم الثاني يتألف من مقدمة وتوجيهات عامة في النقد...، وليس في القسم الأخير جديد، هناك ذكر الناقد عددا من العيوب مثل اللحن وخشونة الكلمات وتعقيد الكلام...».[6]

وإذا حصرنا القضايا النقدية التي تعرض إليها ابن شرف فهي كالآتي:

أ- قضية طبقات الشعراء.

ب- قضية الإبداع.

ج- قضية الطبع والصنعة والتكلف.

د- قضية اللّفظ والمعنى.

هـ- قضية السرقات الشعرية.

و- قضية القديم والجديد.

ز- العيوب العروضية.

وابن شرف وهو يعرض هذه القضايا، اعتمد تقنية جديدة، الغرض منها جذب انتباه القارئ وفي نفس الوقت إمتاعه، وإبعاده عن الجدية التي اعتاد عليها النقاد في عرض أفكارهم النقدية. لقد جمع ابن شرف في كتابه بين الإمتاع والإقناع إذ إنّ: «الشارح محكوم عليه بأن يتطرّق إلى ميادين متنوعة...يكون معجميا حين يوضح معنى الألفاظ الغريبة...ويكون جغرافيا حين يصادف اسم مكان...ومؤرخا حين يصادق شخصية تاريخية ويكون بلاغيا حين يسمي الصور البلاغية».[7]

وهنا نخلص إلى أنّ ابن شرف في كتابه مسائل الانتقاد، عالج هذه القضايا على شكل مقامات، فنجده يطيل في قضية ويقصر في أخرى، بأسلوب شيق ليس فيه طول ولا ملل وفي هذا الصدد يشير ابن بسّام قائلا :

« لابن شرف مقامات عارض بها البديع في بابه، وصبّ فيها على قالبه، منها مقامه فيها بعض طول لكنّه غير مملول، آخذه بطرق مستطرف من أخبار الأدباء وذكر الشعر والشعراء».[8]

وما يجلب انتباه قارئ هذا الكتاب أنّ الراوي الذي يسرد الأحداث هو سائل جاهل ينتظر الأجوبة، حتى يترك للقارئ مجالا مفتوحا من التأويلات، «فلا يجزم بصحة قضية ما أو ينفيها وهذه تقنية ذكية علمية ومستحدثة قائمة على مبدأ الشك».[9]

3- اللّفظ والمعنى: المفهوم والماهية:

اللّفظ في أصل اللّغة «مصدر بمعنى الرمي، وهو بمعنى المفعول، يتناول ما لم يكن صوتا وحرفا، وما هو حرف واحد وأكثر، مهملا كان أو مستعملا، صادرًا عن الفم أولا، «ثم خصّ في عرف اللّغة بما صدر من الفم من الصوت المعتمد على المخرج حرفا واحدا أو أكثر مهملا أو مستعملا».[10]

وجاء في لسان العرب: «لفظة الشيء من فمي ألفظه لفظا رميته، يقال: أكلت التمر ولفظت النواة أي رميتها»[11]، ومن دلالات اللّفظ أيضا: «التكوين الموسيقي وإيقاع العبارات والصورة الدقيقة للمعنى».[12]

أمّا المعنى فلا يطلق على الشيء إلاّ إذا كان مقصودا، ومن دلالته، الغرض والقصد، الذي يريد المتكلم إثباته أو نفيه: «فهو يُقصَدُ بالشيء، ولا يطلقون المعنى على شيء إلاّ إذا كان مقصودا وأمّا إذا فهم الشيء على سبيل التبعية فيسمى بالغرض لا بالذات».[13]

« والمعنى هو الفكرة العارية المجردة التي يتفنن المبدع في صياغتها، ويستخلصها المتلقي من صيانة المبدع بعد تحريرها من حواشي الصيانة وزخارفها».[14]

وانطلاقا من هذه التعريفات نرى أنّ الألفاظ تشكل مع المعاني ثنائية مهمّة وعلاقة متينة جعلت آراء النقاد ومواقفهم تتأرجح بين كفة وأخرى فتفرعت الآراء النقدية إلى مذاهب تمثلت في: - أنصار اللّفظ- أنصار المعنى، وجماعة وفقت بينهما بالنظر إلى أهمية كلّ منهما، فإلى أي كفة مال ابن شرف القيرواني؟ وهل كانت آراؤه ومواقفه امتدادا لمن سبقوه؟

4- قضية اللّفظ والمعنى لدى ابن شرف بين الإتباع والتجاوز:

يبدي ابن شرف رأيه في مدونته "مسائل الانتقاد" قائلا: «وكذلك

إن سمعت ألفاظا مستعملة وكلمات مبتذلة فلا تعجل في استضعافها، حتى ترى ما في أضعافها، فكم من معنى عجيب في لفظ غير غريب».[15]

إنه يعطي أهمية كبرى للمعنى، إذ يرى أنّ المعنى الجيّد لا يشترط ألفاظا قوية جزلة، فإذا كان معنى البيت الشعري لطيفا لا يحتاج إلى ألفاظ مختارة فالألفاظ المبتذلة في رأي ابن شرف لا تؤثر على المعنى وبهذا فهو يعطي الأولوية للمعنى دون اللّفظ، إنّ أراء ابن شرف تتقاطع مع النقاد الذين فضلوا المعنى على اللّفظ؛ لأنّ أنصار المعنى كانوا متأثرين بالنقد الذي ظهر في بداياته حيث «اهتم النقاد الأوائل بالمعاني عندما كان النقد فطريا يغلب عليه طابع تحكيم الذوق، لأنّ النقاد في تلك الفترة كانوا متأثرين بمقياس الدّين والأخلاق».[16]

وحين نعود إلى مدونة ابن شرف نشعر في الكثير من الأحيان أنّ نزعته الأخلاقية والدينية تتغلب على آرائه النقدية، فقد أعطى المعنى أهمية كبرى، فهو يتفق كثيرا مع ابن قتيبة (ت 276هـ) الذي قسم الشعر إلى أربعة أضرب.[17]

حسب الجودة والرداءة واللّفظ والمعنى:

أ- لفظ جيّد ومعنى جيّد: وهو ما حسن لفظه وجاد معناه.

ب- لفظ جيّد ومعنى رديء: وهو ما حسن لفظه وحلا، فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى.

ج- معنى جيّد ولفظ رديء: هو ما جاء معناه وقصرت ألفاظه عنه.

د- لفظ رديء ومعنى رديء: هو ما تأخر لفظه وتأخر معناه.

ويذهب الدكتور بشير خلدون قائلا: «ومن هنا فإنّ القيمة الفنية عند ابن قتيبة لم تكن كامنة في اللّفظ بدليل أن من الشعر ما حسن لفظه وساء معناه، والعمل الأدبي إذا لا يكون كاملا إلاّ إذا استوفى شروط

الجودة في الفكرة، أي المعاني، والصورة أي الألفاظ، لكن ابن قتيبة مع محاولته كان أميل إلى القول بتفضيل المعاني لدفاعه عنها واهتمامه بها كثيرا».[18]

وابن شرف يتفق مع ابن قتيبة في أنّ المعنى أهم من اللّفظ، ويضيف ابن شرف مشبها اللّفظ بالبيت والمعنى بساكنه فيقول: «وإنّ من الشعر ما يملأ لفظه المسامع، ويرّد على السامع منه قعاقع، فلا تَرُعْكَ شماخة مبناه، وانظر إلى ما في سكناه من معناه، فإن كان في البيت ساكن، فتلك المحاسن، وإن كان خاليا، فأعدده جسما باليا».[19]

وبهذا فإنّه يعطي الأولوية للمعنى فهو الأساس ،ويجعل دور اللّفظ ثانويا، فقد يجد في الشعر ألفاظا متداولة ومبتذلة لكن معناها قد يكون شريفا، فالشعر بالنسبة له لا قيمة له إذا خلا من المعنى، وإن جاء الشاعر بألفاظ جزلة قويّة ووظفها، فهو يلح على أهمية المعنى في الشعر من خلال توصله إلى أنه يوجد حالتين:

أ- معنى جميل ولفظ رديء.

ب- معنى رديء ولفظ حسن.

ففي الحالة الأولى يدعو القارئ إلى التمهل في الحكم حتى يرى ما في المعنى من جودة ورصانة، وإن كان اللفظ رديئا، وأمّا في الثانية يرى أن الشعر لا قيمة له إذا خلا من المعنى الجيّد، وإن كان اللّفظ جزلا قويا.

وقد سبقه في ذلك الجاحظ (ت 255 هـ) من خلال مقولته المشهورة: «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي، والقروي والبدوي، إنّما الشعر صياغة وجنس من التصوير».[20]

إنّها العبارة التي أساء الكثير من النقاد فهمها وظنوا بأنّ الجاحظ من أنصار اللّفظ لكنّه «رجل ذكي، وعباراته مع ذلك مرسلة بطريقة تحتمل التأويل، وقد أعطى لجميع الذين عاصروه وجاءوا بعده فكرة الصياغة

الشاعرية، وترك لهم مهمّة تحديدها بدّقة أكبر».[21]

وفي هذا يعلّق مصطفى ناصف أن حقيقة الأمر هي: «إيصال المعنى في أحسن صورة أو بيان يعتبر ترجمة لكلمة الجاحظ المشهورة، وكان الجاحظ لا يعني أنّ إفهام المعنى لابّد أن يكون إفهاما مؤثرا وبعبارة أخرى، إنّ الشاعر يقوم بعمله المؤثر من خلال الارتباط بجوانبه المحسوسة ومظاهر البديهة أو ما نسميه الآن التجسيم».[22]

فابن شرف قد تقاطع مع الجاحظ حين قال: «فكم من معنى عجيب في لفظ غير غريب»[23]، باعتبار أنّ الألفاظ متداولة بين الناس ومعروفة بينهم، لكن طريقة تشكيلها في سياق محدد هو الذي يعطيها جمالا ورونقا.

فهذا عن الجاحظ والنقاط التي اشترك فيها مع ابن شرف، وإذا عدنا إلى ابن قتيبة نجد أنّ ابن شرف متأثر به إلى حد كبير، إذ أنّ الشعر عنده لفظ ومعنى تصيبهما الجودة والرداءة، وبهذا يحيلنا إلى رأي آخر يشبه فيه ابن شرف المعاني بالأرواح، والألفاظ بالأشباح، فيقول: «والمعاني هي الأرواح، والألفاظ هي الأشباح، فإذا حسنا فذلك الحظ الممدوح، وإن قبح أحدهما فلا يكن الروح».[24]

فالجسد دون روح جثة هامدة لا حياة فيه، وهكذا المعاني والألفاظ مرتبطان مع بعضهما فلا قيمة للواحد دون الآخر.

نجد هذا التعريف أيضا عند معاصره ابن رشيق (ت 456 هـ) الذي يرى أنّ ارتباط اللّفظ والمعنى كارتباط الروح بالجسم يقوى بقوته، ويضعف بضعفه، إذ يقول: «اللفظ جسم روحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللّفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه،... وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ كالذي يعرض الأجسام من المرض، بمرض الأرواح، وإن اختل المعنى كلّه وفسد بقي اللفظ مواتا

لا فائدة فيه، وإذا كان حسن الطلاوة في السمع...وكذلك احتل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى لأننا لم نجد روحا في غير جسم البتة».[25]

إنّه تشبيه يؤكد العلاقة الوثيقة بين اللفظ والمعنى، فلا يمكن أن يحيا الجسد دون روح «فالشعر كالإنسان تماما جسمه هو اللفظ وروحه هي المعنى والعلاقة بينهما قوية جدا مثل ارتباط الروح بالجسد فإذا اختل أحدهما ضعف الشعر وأصبح خاليا من القيم الفنية والجمالية» [26] وبهذا نتوصل إلى أنّ ابن رشيق ركّز على اللفظ إذ يراه السبب في اختلال المعنى، فإذا فسد فسد المعنى وإذا حسن حسن المعنى وصار جميلا، وابن شرف هو الآخر ومن خلال تأثره بابن قتيبة وتقسيمه الشعر إلى أضرب حدّد العلاقة بين كلّ من اللفظ والمعنى، وبيّن أثر كلّ منهما في الآخر وهذا عندما جعل المعاني أرواحا، والألفاظ أشباحا، فبحسنهما وجودتهما يكون الشعر حسنا جميلا له قيمة فنية، وباختلال أحدهما يفقد الشعر قيمته فيصبح كالبيت الفارغ الذي خلا من ساكنه فيصبح خاليا موحشا مبتذلا ، وهذا يُظهِر بجلاء أن ناقدنا لم يفصل بينهما وإن كان يميل إلى المعنى أكثر بل وضّح الصلة التي تربطهما: «لم يفصلهما كلية بل الفصل بينهما جاء بصورة نسبية لا مطلقة وإلا لما ذكر أهمية السياق، وتأثير كلّ عنصر منهما في الآخر لكنه للأسف لم يتوسع في ذلك ولم يحلّل الموضوع بما فيه الكفاية ولا ربما يعود ذلك إلى كون المقامة تتميز بالإيجاز والاختصار، عكس ما قام به ابن رشيق في تفصيله لهذه القضية. [27]

وإذا ذهبنا لابن طباطبا العلوي (ت 322 هـ) نجده يقدم عدّة تشبيهات للفظ والمعنى فهو يقول: «وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض وكم من معنى حسن قد شيّن بمعرضه الذي أُبرِزَ فيه، وكم من معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه»[28]،

فالمعاني عنده كالجارية الحسناء، والألفاظ كالثوب الجميل التي تظهر فيه فحسن المعنى وجودته لا يكون إلا بحسن اللفظ، ويقول في موقع آخر: «الكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه، كما قال بعض الحكماء: للكلام جسد وروح، فجسده النطق، وروحه معناه».[29]

وبناء من هذه التعاريف نرى أن ابن طباطبا يرى اللفظ والمعنى روح وجسد، لا يمكن فصلهما، وبهذا يكون سرّ الإبداع في العلاقة الموجودة بين كليهما، فهو الوحيد في النقاد القدامى الذي نظر إلى هذه المسألة نظرة متساوية ومماثلة، «فالنقد القديم والحديث يتمثل هذا في إرجاع الجمال الفني لا إلى اللّفظ والمعنى، بل إلى العلاقة بينهما».[30]

وبهذا يكون ابن شرف قد تقاطع مع ابن طباطبا وابن رشيق في رؤيته لقضية اللّفظ والمعنى، فقد شبهوا ثلاثتهم اللفظ بالجسد والمعنى بالروح لإيمانهم بجدلية العلاقة التي تربطهما، وبأنّ أهميتهما لا تكون إلاّ معا في العمل الإبداعي كما أنّ ابن شرف لم يختلف في موقفه ورأيه النقدي عن ابن طباطبا، إذ جاء بنفس التعريف موضحا الرابط الذي يربط بينهما، وهي نقطة مهمة في مجال النقد الأدبي، تتعلق بعلاقة التماثل والائتلاف الموجود بين اللّفظ والمعنى، فالجملة بناء يشيّده الألفاظ والمعاني، «فالجملة ليست مجموعة من الكلمات بل إنّ علاقة هذه الكلمات بنيويا هي التي تجسّد الجملة».[31]

ولما جاء الجرجاني (ت 471هـ) تعمّق في قضية اللّفظ والمعنى، معتمدا في ذلك على آراء من سبقوه من النقاد فهو يقول: «هؤلاء العلماء يفردون اللّفظ عن المعنى، ويجعلون له حسنا على حدة ورأوهم قد قسموا الشعر فقالوا: «إنّ منه ما حسن لفظه ومعناه، ومنه ما حسن لفظه، دون معناه، ومنه ما حسن معناه دون لفظه، ورأوهم يصفون اللّفظ بأوصاف لا يصفون بها المعنى»[32]، فالجرجاني انطلق من تقسيمات ابن قتيبة للفظ والمعنى والتي اعتمدها ابن شرف في مدونته أيضا ليصل إلى

مفهوم جديد في البلاغة العربية وهو مصطلح "معنى المعنى" فتوصل إلى إيراد ضربين من المعنى: «ضرب يتوصل إليه: بدلالة اللّفظ وحده، كقولنا: خرج زيدٌ، وهذا معنى أول، وضرب آخر لا يتوصل إلى المعنى بدلالة اللّفظ وحده، ولكن يدلك على معناه الذي يقتضيه موضعه في اللّغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل».[33] وبهذا يكون الجرجاني قد وصل إلى ما جاء به ابن طباطبا عندما شبه المعنى بالجارية، واللّفظ بالمعرض، «فالمعرض هو: اللّفظ المنطوق به، ولكن معنى اللّفظ الذي دلت به على المعنى الثاني».[34]

إن الجرجاني في قضية اللّفظ والمعنى ذكر أنّ هناك بعض النقاد لم يتفصلوا في هذه القضية ولم يقدموا آراءهم واضحة، فابن شرف: «كان من الذين رأوا أنّ المزية تكون في كلّ واحد منهما على حده وتكون فيهما مجتمعين، والنظم هو أصل الكلام الذي به يكون كلاما».[35]

إنّ الجرجاني من أهم النقاد الذين تعمقوا في قضية اللّفظ والمعنى وتفصلوا فيها لأنّه: «لم ينظر إلى اللّفظ وحده ولا إلى المعنى وحده، ذلك أنهما عنصران ينصهران في نظم منسجم».[36]

وهي نفس الرؤية التي توصل إليها نقاد العصر الحديث ومنهم ريتشاردز Richard الذي يرى: «أنّ الكلمة لا يمكن أن تفهم إلا من خلال السياق، وعلاقتها مع الكلمات الأخرى».[37]

ومن خلال هذا كلّه نستخلص أنّ الأضرب التي أشار إليها ابن شرف في مدونته "مسائل الانتقاد" والتي تقاطع فيها مع ابن قتيبة والجاحظ والجرجاني وابن طباطبا أنه فهم العلاقة التكاملية التي تربط اللّفظ بالمعنى، كما أشار في تعريفاته التي ذكرناها آنفا والمتمثلة في التفاعل والائتلاف الموجود بينهما، ولم يفصل بين اللفظ والمعنى إلا أنّه لم يتعمق في تحليل وشرح القضية –مثلما فعل معاصره ابن رشيق– وبهذا فابن

شرف عرض آراءه وحلّلها معتمدا على ما جاء به المتقدمون من النقاد قبله دون أن يقدم جديدا في القضية.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور بشير خلدون عن نقاد المغرب ويخص بالذكر عبد الكريم النهشلي، وإبراهيم الحصري، وابن شرف القيرواني: «...إذا فالرؤية لم تكتمل عند هؤلاء النقاد الثلاثة، ولم يأتوا بشيء جديد في هذه القضية، فقد اكتفوا باللّمحة والإشارة وكرروا ما قاله النقاد الأوائل»[38]

لكن رأيه كان مختلفا في ابن رشيق الذي تفصل في القضية وأفرد لها بابا مستقلا فقال عنه «إنّ الأمر يختلف بالنسبة له، فقد خصّ اللّفظ والمعنى بباب مستقل سماه باب في اللفظ والمعنى».[39]

وبين الدكتور بشير خلدون أنّ موقف ابن رشيق كان معتدلا إزاء هذه القضية، ولم يفصل أحدهما عن الآخر، فابن رشيق كان يفضل الاهتمام باللفظ مع تجويد المعنى وتحسينه«ولعله من أجل ذلك ألزم الشعراء بوجود ألفاظ شعرية لا يجوز لهم أن يتعدوها لغيرها وأبعد الفلسفة والأخبار عن موضوعات الشعر».[40] وبهذا يكون قد وقف موقفا وسطا بين اللفظ والمعنى فحسن اختيار اللفظ هو الذي يجعل المعنى جميلا مؤثرا لأن الشعر عند ابن رشيق«هو ما أطرب النفوس وحرك الطباع».[41]

5- خاتمة:

إنّ النقاد المغاربة عامة وابن شرف خاصة قد تفطنوا إلى وجود صلة متينة تربط بين اللّفظ والمعنى فهي علاقة الروح بالجسد، فلا حياة للجسد بلا روح ولا قيمة له، لكنهم لم يتوسعوا في المسألة ولم يتناولوها بإسهاب ولا بعمق.

وخلاصة البحث أنّ ابن شرف بقدر ما أعطى من أهمية للمعنى لم يهمل اللفظ فلا صحة للمعنى دون اللفظ، وبهذا استطاع الإشارة إلى

قضية مهمة هي قضية الروابط والعلاقات الموجودة بين اللّفظ والمعنى، وما لهما من أهمية، تلك الأهمية التي لا تظهر إلا بهما معا، فاللّفظ بيت والمعنى هو الساكن، فإذا فُصلا يصبح البيت فارغا خاويا لا فائدة فيه.

ورغم الطريقة التي عرض بها ابن شرف دراسته للقضايا النقدية والتي قدّمها بأسلوب مختلف تميز بالجودة والجدة، وبطريقة مختلفة تختلف عن تآليف نقاد عصره، إلاّ أنّه كشف عن تلك الثنائية الموجودة بين كل من اللّفظ والمعنى، حين كانت رؤيته للألفاظ على أنها أشباح، وربما يعود السبب في عدم التعمق إلى طبيعة مدونته، التي كانت عبارة عن مقامات، ومن خصائص المقامة الإيجاز والقصر، لكن الجدير بالذكر هو ضرورة الاعتراف بأنّ ابن شرف ومن خلال تناوله لقضية اللفظ والمعنى قد توصل إلى علاقة التفاعل بين اللّغة والفكر فهي علاقة تكاملية كل عنصر فيها ضروري للآخر ولا تتم الفائدة إلا بهما معا. ومن هذا المنطلق فإن ما جاء به ابن شرف خاصة والنقاد المغاربة عامة هي آراء مهمه أثرت المدونة النقدية العربية ولا تقل أهمية عن تلك التي جاء بها النقاد المشارقة.

المراجع:

[1]– سارتر، ما الأدب، ترجمة غنيمي هلال، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، 1961، ص: 60.

[2]– عبد السلام السيّد حامد، الشكل والدلالة، دراسة نحوية للفظ والمعنى، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د ط، د ت، ص: 11.

[3]– أحمد الورداني، قضيّة اللّفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 7 هـ/ 13م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 2004، 1/ 40.

[4]– ابن شرف القيرواني، أعلام الكلام، تحقيق عبد العزيز الخانجي، ط 01، مكتبة الخانجي، مصر، 1926، ص: 47.

[5]– محمد بن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، دراسة وشرح وتحقيق: النبوي عبد الواحد سحلان، مطبعة المدني، دط، القاهرة، دت، ص: 22.

[6]–إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، الطبعة الرابعة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971، ص: 161– 162.

[7]– عبد الفتاح كليطو، المقامات السرد والأنساق الثقافية، تح: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 1983، ص: 75، 165، 167.

[8]– إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 46– 461.

[9]– فازية مصباحي، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي،2012، ص: 19.

[10]– طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، دت، ص: 56.

[11]– ابن منظور، لسان العرب، صادر عن دار بيروت، 1955م، مادة: لفظ، 461/7.

[12]– مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت، ط 2، 1981، ص: 38.

[13]– الكفوي أبو البقاء، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرّسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م، ص: 842.

[14]– جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1992، ص: 313.

[15]– محمد بن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص: 161.

[16]– بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق القيرواني المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 170.

[17]– ابن قتيبة، عبد الله مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1966، 64/1.

[18]– بشر خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، مرجع سابق، ص: 170.

[19]– ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص: 160– 161.

[20]– الجاحظ أبو عمرو عثمان بن بحر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ج3، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، 1969، ص: 339.

[21]– مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، ط2، بيروت، 1981، ص: 39.

[22]– مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، ص: 39.

[23]– محمد ابن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص: 161.

[24]– محمد بن شرف القيرواني، مسائل الانتقاد، ص: 161.

[25]– أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، قدم له وشرحه وفهرسه: صلاح الدين الهواري، أ. هدى عودة، نشر دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، 1996.

[26]– بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق القيرواني المسيلي، ص: 175.

[27]– فازية مصباحي، مذكرة ماجستير، ص: 82.

[28]– محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق وتعليق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، ط03، الإسكندرية، د ت، ص: 8– 11.

[29]– محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص: 250.

[30]– عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، دار الفكر العربي، 1978، ص: 248.

[31]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص: 255.

[32]– محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها افريقيا الشرق، د ط، الدار البيضاء، 1999، ص: 367.

[33]– محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 367.

[34]– عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه ورفع فهارسه الدكتور محمد النجي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 2005، ص: 179.

[35]– محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامداداتها، ص: 371.

[36]– زينة مداوس، نظرية النقد عند عبد القاهر الجرجاني، في ضوء النظرية السياقية الحديثة، رسالة ماجستير اللغة العربية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2001– 2002، ص: 23.

[37]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 150.

[38]– بشير خلدون، الحركة النقدية أيام ابن رشيق المسيلي، ص: 174.

[39]– ابن رشيق، العمدة، 24/1،، نقلا عن بشير خلدون، الحركة النقدية أيام ابن رشيق المسيلي، ص: 175.

[40]– بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق القيرواني المسيلي، ص: 178.

[41]– ابن رشيق، العمدة، 128/1.